ديفيد غوتز
علم النفس التطوري والظاهرة الاثنية
ترجمة : محمد عبد القيوم

يستخدم المؤرخ بيتر مينتزل مفهوم عصبية القرابة لتحليل التباين في منشأ الولاءات القومية والدول القومية التي تشكلت في البلقان ، لا سيما ابّان تطورها في ظل سلطة الإمبراطورية العثمانية. في البداية ، لاحظ أن القومية ، بوصفها التعبير النشط سياسيًا عن الهوية الاثنية ، أدت إلى تكوين دول قومية أكثر فاعلية واستقرارًا في كرواتيا وصربيا واليونان وبلغاريا، مقارنة بالأراضي التي يسكنها الألبان بشكل كبير. ويمكن للحالة الاولي أن تشير إلى الوحدات المستقلة سياسيًا التي ظهرت مع انحسار تماسك وقوة الإمبراطورية العثمانية. بحلول القرن التاسع عشر ، أنشأت صربيا دولة قومية كاملة ستستمر خلال الفترة اليوغوسلافية وتحافظ على تماسكها على الرغم من المحاولات الكارثية من قبل النخب السياسية الصربية لإنشاء إمبراطورية صربية خاصة بها ، على الرغم من الخسارة الجوهرية لمنطقة كوسوفو. وعلى الرغم من الحرمان الاقتصادي الذي فرضه قصف الناتو ونظام العقوبات الاقتصادية. في المقابل ، لم يتطور الكيان السياسي الألباني حتى الحقبة اليوغوسلافية ، وفشل في دمج الجزء الاكبر من السكان الألبان المجاورين ، واستمر في وضع هش للغاية لدرجة أن المخطط الهرمي المنهار كاد يمزق الدولة الألبانية الوليدة. من القضايا التقليدية للعلماء ولمنتزل : شرح تطور الأمم أو الدول القومية وفي الحالة الخاصة هنا، لماذا نجح الكروات والصرب والبلغار واليونانيون وحتى البوسنيون في بناء الدولة وكان الألبان نسبيًا فاشلون. كان الجواب التقليدي هو التأكيد على أن القوميات هي من انتاج عمل النخب السياسية ومصممة لخدمة غاياتها السياسية وأن التلاعب النخبوي هو النقطة المحورية لفهم بناء الدول القومية. هذا النهج يطرح سؤالاً ، مع ذلك ، عن السبب في أن مثل هذه الإنشاءات سيكون لها صدى لدى الجماهير أو لماذا فشلوا في القيام بذلك. يوفر تحليل منتزل علاقة مقنعة بين الاعيب النخبة واستجابات الجماهير. بعد العمل على عصبية القرابة وخاصة تلك التي قام بها جونسون ، حيث يجادل بأن القرابة هي حجر الأساس للارتباطات التعاونية والعاطفية والمتينة إلى حد ما التي تربطها الأفراد بالتكتلات الاجتماعية الأكبر ، وفي النهاية ، تشدها إلى المجموعات الوطنية. مع ان علم النفس التطوري للقرابة ليس مصقولًا تمامًا ، لكننا نعلم ان البشر يتفاعلون بطريقة تشبه علاقات القرابة (يصنعون ارتباطات قوية مع غير الاقربين) عندما يتم استدعاء محفزات روابط القرابة. الدعوات لحماية الوطن الأم ، على سبيل المثال ، يمكن أن تثير السلوكيات الفدائية لفئات واسعة من الشعوب غير المرتبطة في اطار قرابة. يمكن أن ينجح هذا حتى عندما يفتقر القادة السياسيون - والمؤسسات بشكل عام - إلى قاعدة ديمقراطية لاكتساب الشرعية. الحالة النموذجية هي دعوة جوزيف ستالين للقتال من أجل "روسيا الأم" ضد

الغزاة الألمان. لم يستمع الجميع ، لكن النقطة المهمة هي أنه حتى ستالين تجنب أي جاذبية أيديولوجية أو شخصية في هذه الحالة ، مدركًا على المستوى الأساسي أن القرابة لديها أفضل فرصة للعمل في ظل أقسى الظروف. تتمثل مساهمة منتزل الفريدة هنا في إظهار كيف يمكن للتطور متعدد المستويات للتكتلات الاجتماعية الأكبر حجمًا أن ينتج تكتلات على المستوى الوطني وكيف يعمل غياب هذا الخط من التطور كعقبة أمام القفزة من مجموعات الأقارب المباشرة إلى التكتلات الهائلة والمطلوبة في كثير من الأحيان لتشكيل الأمم والدول القومية. يجادل بأن التكتلات القائمة على العشائر تحتاج إلى المرور عبر التكتلات الوسيطة التي تم إنشاؤها على اساس استحضار مشاعر الأقارب قبل أن تتمكن من تحقيق قفزة إلى التكتلات الوطنية. في البلقان ، كانت التكتلات الوسيطة التي من شأنها أن تؤدي تلك الوظائف هي "الجمعيات الطائفية المستقلة" ، والتي يُعتقد أنها جمعيات دينية. وباستثناء كرواتيا ، يمكن إرجاع نمو قوميات البلقان إلى "الطوائف" الدينية المنظمة في الإمبراطورية العثمانية. وفقًا لمنتزل ، كانت هذه الطوائف الرسمية غير الإقليمية متوافقة مع الجماعات الدينية الأقل رسمية والتي تطورت كبدائل واسعة النطاق ومتجاوزة للتجمعات العشائرية السابقة. وقد مكن استدعاء نظام القرابة هذه الطوائف الدينية من الظهور وحصلت على زخم إضافي بفضل الدعم الذي تلقته من الدولة العثمانية. نجحت هذه الأحداث في دفع التنظيم الاجتماعي للتحول الي طوائف واسعة النطاق ، ومع ذلك ، تعززت بعلاقات عاطفية عميقة الجذور. كانت الخطوة الأخيرة في الانتقال إلى القوميات هي تحديد الأراضي وإضافة الوضع السياسي لهذه الطوائف واسعة النطاق. يمكن اعتبار الدول القومية في البلقان امتدادات إقليمية وسياسية للطوائف الدينية أو ، كما في حالة البوسنة ، تحالفات ضعيفة إلى حد ما بين هذه الطوائف"